

## معركة النظافة

تبذل وزارة الصحة في هذه الأيام جهدا عنيقا في مكافحة الأوبئة ، وتتخذ في هذه المكافحة جميع الوسائل ، ومنها النشر والإذاعة والإرشاد - وهي وسائل نظرية - واستئجار الحمامات وإباحتها للجمهور مع منحهم الصابون للاستحمام وغسيل الملابس - وهي وسائل عملية - وزيادة كميات البترول لغلي الملابس - وهي وسائل مساعدة :

ويجب أن نذكر أن معظم الأوبئة المنفسية هي أمراض القذارة ، لأن الذبابة والفملة والبعوضة وهي ناقلة هذه الأمراض حشرات لا تعيش إلا مع القذارة . وقد كتبنا مرة في هذه المجلة مقالا تحت عنوان : "هل نحن شعب قذر" ؟ فنحن أن تكون هذه صفة أصيلة في المصريين ، لأن التاريخ يحفظ عن نظافة مصر القديمة الشيء الكثير ؛ ولكننا صرنا شعبا قذرا لأسباب كثيرة في مقدمتها الفقر الذي تعانيه الملايين ..

ففي ذكرنا أن هذه الأوبئة هي أمراض الحشرات ، وأن الحشرات وليدة القذارة ، فلندكر أن القذارة هي وليدة الفقر في أغلب الحالات ولندكر أن مكافحة الفقر مكافحة لأمراض القذارة جميعا ، ولأمراض سوء التغذية كذلك (وإن يكن هذا ليس مجال الحديث عنها) .

ولنحاول أن نتذكر - بعد أن نجحت مكافحة التيفوس وابتعد خطره - بحلول الصيف أن الشتاء قادم وأن مصدره كان هو القذارة ، وأن مصدر القذارة هو الفقر المعجز عن النظافة ، فنستبق في نفوسنا بعض الحرارة التي نستشعرها الآن لنحاول بها مكافحة الفقر بقدر الإمكان .

والآن تجهد وزارة الصحة كل الجهد لمكافحة القذارة ، وتنشر الدعاية ضدها بكافة الوسائل ، فيستجيب لها القادرون على النظافة ، بينما يسمع الآخرون هذه الدعاية ويقابون أكتفهم من الأسف على أنهم لا يستطيعون تلبية الدعوة ، وإنقاذ أنفسهم وأهلهم من الداء الذي يهددهم في كل آن .

يستجيب لدعوة النظافة من يملكون الصابون ، ويملكون البترول ، ويملكون الثياب ، ويملكون نوعا من الفراش ، فأما أولئك الذين لا فراش لهم إلا الهلاهيل ، ولا ملابس لهم إلا الأسمال أو ما يشبه الأسمال ، ولا قدرة لهم على شراء البترول لغلي الهلاهيل ، ولا على شراء الصابون لغسلها ، بل الذين لا يستطيعون شراء الماء - وللساء سعر في كثير من الجهات يعجز عنه الكثيرون ، أما هؤلاء فيسمعون ويسكتون وإن أعينهم لتفويض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما يتفقون !

وقد أحست وزارة الصحة بهذه الحقيقة المرة ، فاستأجرت عشرات الحمامات وأباحتها للفقراء وقررت أن تصرف لهم الصابون بالمجان ليستحموا وبنسلوا ملابسهم ، وقد تدنقوا على هذه الحمامات بالألوف ، مما يشعر أن القذارة ليست طبيعية فيهم ولا رغبة لهم ، وإنما هي ضرورة واضطرار

ولكن هذه الحمامات التي استؤجرت وفتحت أبوابها للفقراء يقع معظمها في العواصم والعواصم ليست كل شيء ، وهناك ملايين في الريف قدرون يسبح القمل في أجسادهم وملابسهم ولا عاصم لهم من الأوبئة ، ولا قدرة لهم على النظافة ، وهم ينتقلون هنا وهناك وينقلون معهم قملهم وتيفوسهم وسواه من الأمراض فإذا أعدت وزارة الصحة لهذا كله وماذا أعدت الأمة أوقاية نفسها مما يهدد أفرادها جميعا :

إنه لا يكفي أن تكون هناك في العواصم حمامات مفتحة الأبواب للجماهير - وإن كانت لن تكفي الجماهير - وهبها تكفي جماهير العواصم العاجزة عن النظافة ، فإن وراء المدن ملايين أخرى لا يستطيعون أن ينتقلوا إليها ولا أن ينتفخوا بحماماتها .

وإنه لا يكفي أن يسمع الناس دعوة وزارة الصحة فينذها بضع عشرات من الألوف القادرين على النظافة ثم تبقى الملايين تنطبق عليها المثل العاصي ( العين بصيرة واليد قصيرة ) ويبقى القمل يسبح في أجساد هذه الملايين وملابسهم وأسمالهم ، وينقل معه الداء الوخيم القتال . وإن المهمة ليست مهمة وزارة الصحة وحدها ، ولا مهمة الدولة وحدها . إنها مهمة الأمة . فهذه الأمة مهددة بالخطر ، ولن ينفع الأغنياء النظيفين فيها أن يحاربوا الحشرات في بيوتهم الخاصة وفي ملابسهم الخاصة ، بينما الفقراء القذرون يملأون المسالك والفجاج ، وينثرون حشراتهم وأمراضهم في كل مكان .

نعم إن وزارة الصحة يقظة وهي تبذل أقصى ما تستطيع وتوزع آلاف قطع الصابون بالمجان . ولكن جهودها مهما تكن ، محدودة بالقياس إلى هذه الملايين . والأمة بجمعوعها مسؤولة لا وزارة الصحة بمقردها

يجب إذن أن تصنع الأمة لنفسها شيئا ، وأن تدرك الخطر عن نفسها بشيء من التضامن وشيء من التعاون وشيء من التضحية الخفيفة ، التي لا يشعر بها المتوسطون فيها بله الاغنياء ويجب أن يكون هذا الذي تصنعه الأمة لنفسها عملا مباشرا في سبيل النظافة ، وعملا محليا لا يصطبغ بصبغة الرسميات ولا بالإجراءات المطولة التي لا تلاحق خطوات الداء .

في كل مدينة أغنياء وفقراء ، وفي كل قرية أغنياء وفقراء ، وفي كل حي من الأحياء أغنياء وفقراء . وإن الأغنياء في كل مدينة وكل قرية وكل حي ، يستطيعون أن يتبرعوا بشيء من الصابون وشيء من البترول . وإنهم يستطيعون أن يتصلوا اتصالا مباشرا بالفقراء بوسيلة من الوسائل - ولكن في صورة جماعة من المتطوعين يزورون البيوت بيتا بيتا فيوزعون عليه الصابون والبترول ، وينثون الدعوة المباشرة للنظافة ، والتحذير المباشر من القذارة والأوبئة

ولكن الصابون والبتروول ، إنما يجديان حين تكون هناك ملابس تغسل وتغلى ، وأنا أؤكد للسادة الأغنياء ، أن هناك من ليست لهم ملابس تغسل وتغلى . فستبقى المهمة إذن معطلة ما لم يكن لهؤلاء ملابس . ونحن لا نريد لهم ملابس حريرية أنيقة ، إنما نريد لهم لباسا وكفى لباسا من أى نوع ، فليكن من عمل هذه الجماعات أن توفر لهؤلاء الناس لباسا أيا كان !  
هذه هي الوسائل العملية . أما مجرد الدعوة والتحذير فتمد يقيد ، ولكنه إن يقاوم الداء ، ولن يمنع القذارة ، ولن يحمي الأغنياء من قذارة الفقراء !



قرأنا منشورا للحكدارية بالتنبيه المشدد على رجال البوليس بالنظافة وتوقيع أشد العقوبات على من يتهاونون منهم في العناية بها .

ويجب أن يكون رجال البوليس آية في النظافة ، ويجب أن توقع أشد العقوبات على المهملين منهم في النظافة ، فإنهم مظهر الحكمة ، وعنوان الدولة ، ومنفذو القانون . ولكن يجب في الوقت ذاته أن يكونوا قادرين على النظافة ، فانا لنعلم أن مرتباتهم ضئيلة ، وأن الغلاء يردق كبار الموظفين ومتوسطيهم لأن قدرة مرتباتهم على الشراء قد هبطت إلى ما يترب من الربع ، فرجال البوليس مرهقون إذن بطالب الحياة ، وقد يعجزهم هذا الإرهاق عن المحافظة على النظافة المطلوبة منهم ، وقد يقعون تحت طائلة العقاب ، أو يتقون العقاب بتجوع أنفسهم وأهلهم لشراء الصابون والبتروول !

ونحن نترح أن تصرف لهم الحكدارية : إما على حساب الدولة ، وإما عن طريق التبرعات — كميات مناسبة من الصابون والبتروول بالمجان مساعدة لهم على تنفيذ أوامر الحكدارية الواجبة التنفيذ؛ فإن هذه خطوة عملية في مكافحة القذارة ، وإليه لواجب لمظهر الدولة ولثامها في تنفيذ القانون .

يجب أن تكون عمليتين ، وألا نكتفي بالدعاية أو بالتعليقات ، فالدعاية واجبة ، والتعليقات ضرورية ، ولكن التيسير والتسهيل واجبان كذلك . وفي الأقوال المأثورة : ( إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع ) .

إن الدعاية سهلة وإن التعليقات سهلة كذلك ، ولكن الأمور لا تتم بالدعاية ولا بالتعليقات وإنما تتم بالأعمال ، والأعمال أصعب ولا شك ، ولكن لا بد لنا من مواجهة الصعاب ، وقد أصدرت الحكومة أمرا عسكريا يتيح لها إجبار الأفراد على نظافة المساكن والشعر والبدن والمفروشات من الحشرات ، وكذلك إجبار أصحاب وسائل النقل العمومية والمتنديات وما إلى ذلك على رش المواد المبيدة للحشرات ويمكنها من سحب زخص السواقين والباعة الجوالين والسيارات والمرتبات ذاتها إذا انضج وجود القمل أو غيره من الحشرات فيها .

وكل هذا جميل ومشكور . ولكن يبقى المنبع . يبقى عجز الكثيرين عن النظافة لأنهم لا يملكون وسائل النظافة . وقد أدت وزارة الصحة واجبها ، وبقى أن تؤدى الأمة واجبها كذلك . وها هو ذا صوت النذير يدوى في آذانها ، وأداء الواجب لا يكلفها إلا القليل .